العدد 332
السنة الثامنة والثلاثون
رجب - شعبان 1418هـ
نونبر - دجنبر 1997م

دعوة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

أقسم بالله العلي العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز إلى الصحراء، أقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعشيرتي في سري وعلانيتي والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ له دعوة الحق ﴾

صدق الله العظيم

دعوة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

مدير المجلة
الأستاذ عمر بنعباد

العدد : 332
السنة الثامنة والثلاثون

رجب - شعبان 1418هـ
نونبر - دجنبر 1997م



أسسها
جلالة المغفور له محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة 1376 - 1957

... ولذلك سرّنا أن تتولّى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.

وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة محمد الخامس
طيب الله ثراه إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها
في شهر يوليوز 1957.

بيانات وإرشادات

الاشتراكات في المجلة :
في المملكة المغربية : **70** درهماً
في الخارج : **80** درهماً

الحساب البريدي : رقم **55 - 485** الرباط

أرقام الاتصال الهاتفي :
الوزارة : 76.68.51
76.68.12
76.68.01
76.66.05

النشر والتوزيع : 76.32.10

مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

ثمن العدد 4,00 دراهم

من نوادر المخطوطات: التعريف بالمقري

لأبي العبّاس الونشريسي

عرض وتقديم: للأستاذ بنعلي محمد بوزيان
- فكيك -

* تمهـيـــد :

ذكر محقق إيضاح المسالك أن لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي تأليفا في التعريف بأبي عبد الله المقري، ذكره في النفح، ولم يقف عليه(1).

ومن مزايا هذا التصريح أنه منحنا فرصة البحث عن المصنف الضائع فيما بقي من أثر بخزانة الإمام المفسر سيدي عبد الجبار الفجيجي(2)، مستلهمين روح الصداقة الحميمية التي كانت تجمع بينه وبين الونشريسي، ومستروحين نسائم الأبوة التي خص بها هذا الأخير تلميذه الأنجب محمد بن عبد الجبار مثلما هو واضح من فهرسته التي ألفها بإسمه.

ولم أكد أَشْتَدُّ في الطلب وأَحْتَدُّ حتى خرج عن صمته وأعرب عن نفسه، فوجدته على غير الهيئة التي صوره بها صاحب دليل مؤرخ لمغرب الأقصى(3)، فقد أبى إلا أن يجعله في مجلد، بينما هو في أصله رسالة قد لا تزيد عن سبع عشرة صفحة.

* وصف المخطوط :

يقع في سبع عشرة صفحة، مسطرته: 23، مقياسه : 145 x 215 مكتوب بخط مغربي متقن جميل واضح، يرجح ترجيحا قويا أنه خط المؤلف - رحمه الله -.

1) «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك» : لأحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق : أحمد بوطاهر الخطابي ص 71 (مطبعة فضالة 1980 /)، وانظر في ترجمة الونشريسي «مقدمة» المحقق، وفي ترجمة المقري «معجم أعلام الجزائر» ص 180(الطبعة 71 / 1).

2) «ثبت الوادي آشي» : تحقيق عبد الله العمراني، ص 378وما بعدها (ط ـــ دار الغرب الإسلامي 83).

3) «الترجمة» : رقم 707ـــ ص 186(ج الأول ـ ط 1960).

أما رؤوس موضوعاته، وجل أشعاره فقد حررت بقلم مغلظ بين السواد، تمييزا لها عن سائره. بعض أطراق أوراقه ممزقة، وجل سطوره العليا مطموسة بشكل تصعب معه القراءة غالبا وتتعذر أحيانا، وحواشيه خالية من أي استدراك أو تعليق إلا في تسعة مواضع.

*** دواعي التأليف وموضوعه :**

بالنظر في ديباجته يتضح أن الونشريسي لم يقم بهذا العمل إظهارا لرغبة مكنونة، أو اعترافا بجميل سابق، بل لكونه قد كلف به من لدن ابن غازي(4)، وكانت بينهما صداقة الإخوان، ومراسلات حِسَان.

يقول بعد البسملة : أما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد صلاة تتجدد وتتوالى، فإنك أيها السيد الفاضل، الإمام العالم العامل، العلامة العلم الذي لا يضاهى، وذو الخلال السنية السنية العثمانية التي لا تتناهى، كلفتني مع قصر باعي، وقلة إطلاعي، وعدم انطباعي، أن أقيد لكمالك، وباهر جلالك، نبذة من التعريف بالفقيه القاضي المقري ونسبه وعدة تآليفه ومسألتي شيخه أبي عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني الهندسي(5)، في ضابط الحرمة، وتخلل الخمر، وذكر طبقات بني الإمام، ومن لقي الآبلي(6) منهم معلما ومتعلما، وقضية بَلَدِيِّنا أبي علي الحسن بن عثمان بن عطية التجاني مع عدول بلدكم مكناسة المحروسة، وقصيدته التي قال فيها، وتعيين ما ذهب إليه العقباني القاضي أبو(7) عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي الأصل، التلمساني الدار(8) في مسألة قيطون الإعانة مما ذهب إليه الشيخ الصالح الحافظ المؤلف المفتي أبو العباس أحمد الجذامي الأصل الفاسي الدار، الشهير بالقباب(9).

وبعد هذا أخذ الونشريسي يتوسع بالاستقصاء والتفصيل في حصيلة ما قسمه آنفا، ويبدو أنه تقسيم متداخل متشابك، يحتاج إلى فك الارتباط بين أجزائه، وتلك عملية يسرها المؤلف بضبطه وترتيبه وحسن تبويبه، فجاءت أقسامه كما يلي :

- التعريف بالمقري : ويحتل صفحتين من الرسالة.
- تآليفه : وقد استوفاها في ثلاث عشرة صفحة كاملة.
- بنو الإمام : وقد تحدث عنهم في نصف صفحة فقط.
- قضية الحسن الونشريسي مع عدول مكناسة: ولم يتجاوز في استعراضها صفحة واحدة.
- مسألة قيطون الإعانة، وجاءت في أسطر معدودات.

وهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة أشد اقتضابا، إذ لم يزد فيها على صفحتين، تحتل الخاتمة في ثانيتهما زهاء ستة أسطر، وهي كالآتي :

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الرسول، وعلى آله وصحبه منتهى كل رسول، وكان الفراغ من تقييده وجمعه، وضم جنسه ونوعه، على يد محبكم المسلم على سيادتكم عبيد الله أحمد بن يحيى... غدوة يوم الخميس رابع ربيع الأول عام ستة وسبعين وثماني مائة.

4) «ثبت الوادي آشي» : ص : 459 وما بعدها.
5) «أعلام الجزائر» : ص : 188.
6) المرجع السابق : ص : 136.
7) في الأصل أبي، ولعله سهو من المؤلف.
8) المرجع السابق : ص : 75.
9) «الاعلام» : للزركلي ص : 197 ج : 1.

ولما كان الهدف من العرض يتوخى التعريف بالمخطوط بشكل يؤدي إلى الإلمام بأهم جزئياته ودقائقه، فقد صار لزاما علينا أن نمثل لكل قسم على حِدَةٍ، منتقين ما يبدو مفيدا أو طريفا جديدا.

1 – التعريف بالمقري :

يبدأ الونشريسي بتقديم المقري إلى صاحبه ابن غازي بما نصه :

فاعلم يا نعم السيد المولى، أولاك الله أضعاف ما أولى، أن المقري هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي المقري الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي الدار، كنيته أبو عبد الله، و«مقرة» (بفتح الميم بعدها قاف مشددة)، قرية من قرى بلاد الزاب الغربي من عمل إفريقية، سكنها سلفه، ثم تحولوا إلى تلمسان، وبها ولد الفقيه وجد، وبها نشأ وقرأ وأقرأ إلى أن خرج منها صحبة الرّكاب المتوكلي العناني أمير المسلمين فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أوائل جمادى الأولى عام تسعة وأربعين وسبعمائة إلى مدينة فاس المحروسة، حاضرة مُلْكِ بني مرين، وقاعدة المغرب القصى، فولاه بها قضاء الجماعة، فنهض بأعبائه علما وعملا، وحمدت سيرته، ولم تأخذه في الله لومة لائم، إلى أن توفي بها إثر قدومه من بلاد الأندلس في غرض الرسالة لسلطانه أبي عنان المذكور، في عام تسعة وخمسين في غالب ظني، كما توفي سلطانه أبو عنان ليلة السبت الثاني عشر لذي حجة الحرام متم عام تسعة وخمسين وسبعمائة(10).

ثم نقل القاضي أبو عبد الله المذكور إلى مسقط رأسه، ومحل نشأته بلده تلمسان فدفن بالعرصة المتصلة ببعض نواحي داره الكبرى الكائنة بباب الصرف المقابلة لدار السرور من القصر الجديد داخل تلمسان المحروسة، وبحومة باب الجياد منها، والدار والعرصة في هذا التاريخ على ملك بعض ورثة الشيخ الصالح العالم المفسر السيد أبي يحيى الشريف التلمساني المتوفى عام خمسة وعشرين وثمانمائة، المدفون إلى جنب والده...(11).

2 – تآليفه :

افتتح الونشريسي عرض تآليف المحتفى به بكتاب القواعد قائلا : ومن تآليفه كتاب القواعد(12)، اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة، وهو كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله، بيد أنه يفتقر إلى عالم فتاح، منه قوله....... ومنه...... ومنه......، وعلى هذه الشاكلة مضى يلاحق نصوصه فينقل من هنا وينقل من هناك ما يراه مناسبا ومفيدا، حتى إنه فعل ذلك سبع عشرة مرة، الأمر الذي نتج عنه طول هذا القسم مقارنة بالأخرى.

ولعله من الصعب أن نقفو قفوه، ونجاريه في ميدانه، إلا أنه تقريرا لمنهاجه من جهة، ونشرا لطي بعض فوائده من جهة ثانية، يحسن بنا أن نقتطف نموذجين للتمثيل :

أ – **النموذج الأول** : ومنه الشبهة إما أن تكون قريبة جدا كالشّركة في القطع فتعتبر، أو بعيدة جدا كالأجير والصديق فيه، فلا تعتبر، أو متوسطة فقولان، هذا ضابط مذهب مالك، ومن هذا تعرف وجه الرد فيما أفتى به الفقيه أبو موسى عيسى بن محمد الإمام، حدثني — رحمه الله — أن عبد الحق بن أبي بكر حاكم تونس أنه وجد رجلا وامرأة، فأفلت الرجل وأقرت المرأة أنها مكنته من نفسها واعتلّت بما كان الناس فيه يومئذ من شدة المَسْغَبَة، وأنه لحقها من الجوع ما حملها على ذلك، فرحمتها وسرّحتها، قال : فقلت له : فقد قالوا : إذا سرق لجوع أصابه لم يقطع، فقلت : الجوع يبيح أخذ

10) المرجع السابق : ص : 5 / 127.

مال الغير باختلاف في لزوم الثمن فيه، فسرقته إذا لم تكن جائزة فهي شبهة قوية، ولا يبيح الزنى بوجه ولا على حال، ولا مناسبة بينه وبين إباحته، فلا ينتهض شبهة تدرأ الحد، فيجب الحد ولابد.

ب - **النموذج الثاني** :.... ومنه تنافي المقصودين مانع من اجتماع حكميهما، ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾(13) فلا يجتمع النكاح والملك، لأن مقصود الزوجية التراكن والود من الطرفين، ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا**﴾(14) والرق الامتهان والاستخدام بسبب سابقة الكفر أو مقارنته زجرا عنه، وإن كان العبد هو الزوج زاد، فإن مقتضى النكاح قيام الزوج على المرأة بالإصلاح والتأديب والصون، ﴿**الرجال قوّامون على النساء**﴾(15)، ﴿**فعظُوهن واهجرُوهن في المضاجع واضربوهن**﴾(15)، والملك قيام المالك بذلك مع الإذلال، ومن ثم قال ابن الجلاب : لايغسل للجنابة والجمعة معا، ورد بمنع تنافيهما وهو المشهور، ومن ثم حرّم نكاح المتعة لمنافاته الود والتراكن المطلوبين بالنكاح.

وبنفس الوتيرة يسترسل الونشريسي في عرض ثاني مصنفات المقري : «**نظم اللآلي في سلوك الأمالي**»، حاصرا عنايته أيضا في نقول سماها «**فوائد**» بدت لكثافتها ظاهرة أصيلة في الرسالة، بل إن اهتمامه بها زاد وغزر، وتنوع بين النثر والشعر، وتفاوت بين إنشادات الإخوان، والإفادات القرآنية والحديثية والفقهية والأدبية، والنوادر المليحة، وأخبار الأصحاب، ومشاهداتهم، وملاحظاتهم الذكية، بلغ بها أربعا وعشرين فائدة، ثم ذيّلها باثنتين من غير هذا التأليف،(16)، وقبل أن يندب نفسه لإنجاز هذا وذاك أشار إلى أن المقري جمع كتابه «**نظم اللآلئ**» لصاحبه العلامة ورئيس الكتاب بدار المغرب أبي القاسم بن رضوان (17).

ولما كانت الشواهد ركيزة حيوية وضرورية للتعزيز والبرهنة والتوثيق فلا مناص من إيراد بعضها.

- منها : قال لي أبو عبد الله بن النجار : انظر إلى الناس يقابل بعضهم بعضا بألفاظ قبيحة المعاني، ثم لا يأنفون لما سرّه حسن ظاهرها عنهم من قبح باطنها، فإنهم يقولون: فلان الفقيه مطبوع، ومعناه قليل الدين، وفلان خفيف الروح ومعناه مضحكة، وفلان طيب النفس، ومعناه عديم الغيرة، وذكر من هذا كثيرا مما لا يتنبه إليه إلا مثلهافي الذكاء والبحث عن أحوال الخلق، سمح الله لي وله.

- ومنها : كنت يوما مع القاضي أبي عبد الله بن هدية(18) في جنازة فذكر غلظة أهل أجادير وقبح غلوهم في الفخر، فحدث أن رجلا كان نزل به، فولي عندهم خطة، فكان يكتب في شهادته

11) «تعريف الخلف» : ص : 208 — 209 — ج 2 (وفيه أنه توفي سنة 826) — مؤسسة الرسالة 1982).
12) قارن بما في «نفح الطيب» ج : 5 ص : 284 (طبعة دار صادر 1968)
13) الآية رقم / 4 - سورة الأحزاب.
14) الآية رقم / 20 - سورة الروم.
15) الآية رقم / 34 - سورة النساء.
16) أنظرهما في «نفح الطيب» ص : 282 - 283 - ج : 5.
17) المصدر السابق : ج : 6 ص : 107.
18) معجم أعلام الجزائر ص 186.

القرشـي، ثـم رفـع إلـى أعلـى منـهـا فـكـتب الهـاشـمـي، فقـال بعضهـم : تداركـوا هـذا الرجـل قبـل أن يزيـد رفعتـه فيكتـب الجاديري، قلت : ولولا مـا عرفوا به لأمكن أن يكون مراده فينتسب إلى ما لا يخفـى عليكـم كذبه فيه، وكان القاضي - رحمه الله - صاحب نوادر وطرائف.

- ومنها : حدثـت عـن أبـي عبـد الله محمد بن عمـر بن أبي بابلة التلمساني، وقد كنت لقيته صغيرا، أنـه دخـل علـى مصيـب أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس(19)، بغرناطـة في مرضه الذي توفي فيه، فوجـده قلقـا، فقـال : مـالك ؟ فقـال : رأيـت ابـن خميـس فـي النـوم، أراه - قـال - على هيئة حسنة، قـال : فجمـع خمسـة يـده اليمنـى، وقـال لي : يا محمـد، هـذه بقيـت لـك، وأوقفـك بـين يـدي أحكـم الحـاكمين، فيسـألك عـن دمـي، فخـذ أهبتـك، قال : فوالله مـا مـرت عليه خمس إلا وهو في قبره، وكان قتـل ابـن خميـس يـوم الأضحـى آخـر سـنة ثمـان وسبعمائة مع الوزير أبي عبد الله الرندي الحكيم.

وربمـا أرهـق الغلـو فـي النقل يراع الونشريسي، فانكفـأ إلـى الإيجاز والاختصارفي تقديم ما بقي من آثـار المقري، مركزا في غير ما إسهـاب على كتابـه: **«عَمَلَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ»**، ومـا في هذا القسم من معـارف جديـدة، وفوائـد جليلـة لا يـدرك إلا بإيراده كاملا.

يقـول : ومن تآليفـه أيضا - رحمه الله - كتاب **«الحقائق والرقائق في التصوف»**، بديـع المنزع، لطيـف الإشـارة، وهو كثير بأيدي الناس في تلمسان وفاس، وكتاب **«التحف والطرف»**، فـي غايـة مـن الحسـن والطـرب،رأيت منـه بتلمسـان بعض أوراق بخطه رحمه الله، وكتّاب **«اختصـار المحصر»** غـير تـام، وكتاب **«شـرح الجمـل الخونجـي»** لـم يتـم أيضا، وكتاب **«عمل من طب لمن حب»**، مشـتمل على فنون:

- الأول : فـي أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب، وسراج المهتدين لابن العربي.
- والثـاني : فـي الكليـات الفقهيـة مـر بها على جملـة أبـواب الفقه في غاية الإفادة، وقد كنت اقتنيت مـن هـذا الكتـاب أصـلا جيـدا بخـط مؤلفه القاضي رحمـه اللـه، ثم أتى عليه وعلى غيره مما تحصل في ملكـي مـن الكتـب، وضـاع بسـبب محنـة ابتليت بها خـامس المحـرم الحـرام فـاتح عـام أربعـة وسـبعين وثمانمائـة، أسـأل اللـه الجـبر وحسـن الخاتمـة في الدين والدنيا والآخرة.
- والثالث : في قواعد وأصول.
- والرابـع : في اصطلاحات وألفاظ، وقد أطلعني الفقيـه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة مـن هـذا الكتـاب عنـده، فتلطفـت فـي استخلاصها لأنسخ وأرد فلم يسمح.

ومن تآليفه أيضا كتاب **«المحاضرات»** ضمنـه من الفوائد والحكايات والإشارات والكلام كثيرا.

بذلـك أسـدل الونشريسـي السـتار على مؤلفات المترجم، وطلبا للاختصار ذيلها بالتعقيب الآتي :

هـذا مـا حضرنـي الآن مـن التعريـف بـالرجل وتآليفـه، وقـد استوفى الكلام على مشيخته وشعره صـاحب القلـم الأعلـى بـدار الأندلس أبي (كذا) عبد اللـه بـن الخطيـب السـلماني المتوفـى بقصبـة فاس البـالي آخر عشرة الثمانين وسبعمائة، في حرف الميم مـن كتابـه **«الإحاطـة فـي التعريـف بمـن دخل غرناطة»**، وكـذا شـيخ شـيوخنا الشيخ المحقق العـالم النظـار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بـن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسـي التلمساني المتوفى في النصف من شعبان عـام إثنين وأربعين وثمانمائة في كتابه النور البدري

19) «نفح الطيب» : ج : 5 ص 359 وما بعدها.

في التعريف بالفقيه المقري، ولم يتمكن محبكم من مراجعة واحد من هذين الكتابين أما الثاني فلعدم وجوده بهذه البلدة، وأما الأول فلحصوله حيث لا يتوصل إليه بوجه.

3 – بنو الإمام :

لعل أول ما قد يترجع في صدر أي منا، ويتنزل على روعه قبل أن يتوغل في تعرف بني الإمام أن يكون المقصود بهم أولاد المترجم له ؛ لأنهم أولى بالذكر، وأوفى تناغما مع معطيات الرسالة، وأهدافها، وربما لا تكتمل معالمها، ولا تتضح صورتها إلا بهم، لكن الونشريسي فاجأنا بغيرهم، فحدثنا عن أبناء الإمام الشريف التلمساني، ومرد ذلك ـ كما يستنتج من الديباجة ـ إلى أنه كان يحترم بل ينفذ رغبة محبه وخليله ابن غازي الذي وضع له مخططا ليس له أن يزيغ عنه، ولا ينهض هذا المبرر مستقيما إلا بالارتكاز على عامل العلاقة العلمية المكينة التي جمعت المقري بهذه الأسرة، وذلك جلي في النغمة المخيمة على كلامه يقول : وأما بنو الإمام فأعلى طبقاتهم الشيخان، الراسخان الشامخان العالمان العاملان، المفتيان الشقيقان :

الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الإنصاف من المشارقة والمغاربة، أبو زيد عبد الرحمن، والعلامة النظار آخر أهل النظر، وجامع أشتات المعارف أبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله الحميري الشهير بالإمام(20)، ثم الشيخ أبو سالم إبراهيم بن الشيخ أبي زيد المذكور، وابن عمه الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن أبي موسى المذكور، ثم الشيخ العلامة القاضي الرحال أبو الفضل المتوفى عام خمسة وأربعين وثماني مائة بن الشيخ أبي سالم إبراهيم.

وعن الشيخين أبي زيد وأبي موسى أخذ الآبلي والمقري والشريف والعقباني، وغيرهم من أهل تلمسان وغيرها علم المعقول، والمنقول والحديث رواية ودراية، وبسببهما انتشر العلم ببلاد المغرب [وعن الآبلي أخذ المقري والعقباني والشريف وصغار طلبة ابني الإمام وأولادهما رحمهم الله](21)، ولم يبق للشيخين أبي موسى وأبي زيد عقِبٌ بتلمسان في هذا التاريخ سوى صاحبنا وتلميذنا الطالب الخير الفاضل أبي العباس أحمد بن أبي الفضل بن إبراهيم بن أبي زيد المذكور، وللشيخ أبي الفضل المذكور ـ رحمه الله ـ في علم البيان والتصوف والأدبيات والشعر (والطب)(22) قدم راسخ، وهو أول من أدخل للمغرب الكتاب الشامل، وشرح المختصر لبهرام، وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغيرها من الكتب الغربية.

4 – قضية ابن عطية الونشريسي :

لن نضع هذه القضية تحت النظرة شبه الجامعة التي أوليناها لما سبق إذ في شهرتها واحتفاء المصادر بها كفاية عن تتبعها(23)، وعليه سننصرف إلى تقديم أهم مراحلها مستأنسين بأسلوب الونشريسي نفسه، يقول :

وأما قضية بلدينا الشيخ القاضي العلامة أبي علي الحسن بن عطية الونشريسي (24) مع عدول

---

20) انظر ترجمة هذه الاسرة العالمة في : «تعريف الخلف» ج : 2 ص 209 وما بعدها.

21) ما بين المعقوفتين زيادة من الهامش وعليه علامة صح.

22) زيادة من الهامش وعليه علامة صح.

23) انظرها في «نفح الطيب» ج : 5 ص : 353 وفي «تعريف الخلف» ج : 2 ص : 129.

24) «معجم أعلام الجزائر» : ص : 64.

مكناسة وقصيدته التي قال فيها، فهي أن السلطان المتوكل على الله أمير المسلمين أبا عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ـ رحمه الله ـ كان قد أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة، وكتب إسم الشيخ لأبي علي هذا في العشرة الذين أثبتهم، فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سن أبي علي، فلما علم تشغيب أولائك عليه، وضع رجزا ورفعه إلى مقام المتوكل على الله أبي عنان وهذا ما يقول فيه :

نبدأ أولا بحمد الله
ونستعينه على الدواهي(24).

5 – مسألة قيطون الإعانة :

يقول الونشريسي :

وأما تعيين ما ذهب إليه العقباني في مسألة قيطون الإعانة مما ذهب إليه القباب المتوفى عام تسعة وسبعين وسبع مائة، كما توفي فيها الشيخ الفقيه صالح فاس ومفتيها أبو محمد عبد الله الوانغيلي الضرير تلميذ أبي الربيع اللجائي تلميذ شهاب الدين القرافي رحمه الله، وفيها أيضا توفي الشيخ الصالح أبو الربيع سليمان بن الشيخ الصالح أبي الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي شارح الرسالة المتوفى سنة إحدى وستين وسبع مائة بعد أن بلغ من السن مائة سنة، فاعلم أن مذهب العقباني اختصاص التجار بالدرهم، ومذهب القباب اختصاص الحاكة به، والله أعلم، ولعل هذا منتهى ما رسمه سيدي وأجل عددي من الأغراض والفصول، فله الفضل في الإغضاء وحسن القبول بلغه الله كل مأمول.

كان ذلك آخر ما تعقبه الونشريسي من حياة المقري، وما يستوقفنا فيه هو اختفاء مسألتي الشيخ ابن النجار الهندسي من المتن رغم وعده الكريم في المقدمة بإثارتها وبسطها مباشرة عقب الكلام عن مؤلفاته، فهل هو سهو من الونشريسي ؟ أم هل أعوزته المصادر ؟ سيما وأنه استعجل إتمام الرسالة ملمحا إلى هذا السبب، أم هل نحن أمام نسخة مبتورة ؟

مهما يكن الجواب فإن اليقين الذي لا شبهة فيه أنه ذكر القضيتين معا في غير الموضع المخصص لهما حسب تصميمه، فجاءتا في صلب منقولاته من كتاب نظم اللآلىء، والاحتمال القوي أن يكون هذا التصرف سببا في عدوله عن إيرادها في بابها مع أنه لم يلمح إلى ذلك لاحقا على عادة المصنفين في تلك العهود.

يقول في القضية الأولى :

«... ومنها ذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق على طهارة الخمر، واعترضته بما في الإكمال عن ابن وضاح أنها لا تطهر، فقال لي أبو عبد الله بن النجار لا عبرة بقول ابن وضاح لأنه يلزم عليه نجاسة كل خل، لأن العصير لا يكون خلا حتى يكون خمرا.

ويقول في القضية الثانية :

«.... ومنها كنت يوما أتكلم في ضابط ما تمنع القرابة من نكاحه، فذكرت قول ابن الحاجب : «وهي أصوله وفصوله» إلى آخره، والفاضل أبو عبد الله بن النجار يسمع، فقال لي : إذا تركبت النسبة العرفية بين الرجل والمرأة كأن تقول له: ابن عمي أو عمتي، ويقول هو: ابنة عمي أو خالي، حلت وإلا حرمت، فتأملته فوجدته كما قال، ولم يكن بصيرا بالفقه إنما عنده ذكاء زائد». (25).

25) قارن بما في «نفح الطيب» : ج : 5 ص : 237 «وتعريف الخلف» : ج : 2 ص : 574.

*** قيمة الرسالة :**

أخلص بعد هذا العرض إلى تسجيل بعض الملاحظات التي تهدف إلى تأكيد أهمية وقيمة ومزايا هذه الرسالة على صغر حجمها أولا، وإلى الإشادة بفضل الونشريسي في التعريف بالمقري ثانيا :

1 - إنها مصنف مستقل في موارده عن أهم مصدرين أرّخا للمقري، هما : «**الإحاطة**» و «**نفح الطيب**».

2 - إن النقول الكثيرة التي تتخلل الرسالة لا تنقص من قيمتها، و لا تعتبر إخلالا بأهميتها، وكأني بها اختيرت بعناية لتزيد من نفاستها، نظرا لما تنضح به من أخبار جديدة، وفوائد جليلة، وآراء ذكية، ومعلومات معتبرة.

3 - إن هذه الرسالة يمكن — دون مبالغة أو محاباة — أن تكون وثيقة تاريخية معولا عليها في تصحيح أحداث و إضافة أخرى مثلما يتجلى من النصوص التى حرصنا على الإستشهاد بها، ويكفينا للدلالة على ذلك ما يأتي :

أ - أجمع المؤرخون للونشريسي على أن رحلته إلى فاس تمت في أول محرم، وتأتي هذه الرسالة لتؤكد بالتحديد أنها بدأت في الخامس منه، وأنها كانت نتيجة محنة، وإني على مثل اليقين أنها كانت محنة سياسية.

ب - تصرح الرسالة أن أبا العباس أحمد بن أبي الفضل بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام تتلمذ على يد الونشريسي، وهذه إضافة جديدة لم يثبتها أي باحث من محققي كتبه (26)، إلى غير ذلك من المعلومات الجديدة التي تتناثر بين ألفاف الرسالة.

4 - كانت هذه الرسالة مصدرا معتمدا، وموردا ثرا استقى من معينه كثير من المتأخرين من أمثال المقري في «**نفح الطيب**»، والحفناوي في «**تعريف الخلف**».

ولا يطمح هذا العرض — في آخر المطاف - إلى أسمى من إزاحة الغبار عن النادر من مصنفات أجدادنا - رحمهم الله - والنفخ في روح تراثنا الخالد، وهو التزام أخذته على نفسي، وسأنجزه ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

فجيج - بنعلي محمد بوزيان

26) انظر على سبيل المثال مقدمة محقق كتاب «إيضاح المسالك»، وكذا مقدمة محقق كتاب «عدة البروق».



صومعة مسجد مولاي عبد العزيز
بمدينة العيون